مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (2)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (2) 2014

حركة التّهذيب والاختصار في التّراث الأدبيّ العربيّ حتّى نهاية القرن السابع الهجريّ

منال محمود ناصر*

(تاريخ الإيداع 21 / 11 / 2013. قبل للنشر في 16 / 4 / 2014)

□ ملخّص □

يرصد البحث حركة التّهذيب والاختصار في التّراث الأدبيّ العربيّ, محدّداً مفهوم الاختصار ونشأته في المؤلّفات القديمة , ثم يقف البحث عند بواعث تهذيب الكتب التّراثيّة وأهدافه , ويستعرض مناهج تهذيب هذه الكتب وخصائصه , كما يعرض لمواقف العلماء العرب من حركة التّهذيب والاختصار , ويقدم قراءة نقدية في مختصرات كتاب إصلاح المنطق لابن السّكّيت , بوصفه نموذجاً لكتاب أصلي تعرّض للاختصار والتّهذيب مرّات متعدّدة .

الكلمات المفتاحية : التّهذيب , الاختصار , التّراث الأدبيّ العربيّ

* ماجستير – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (2)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (2) 2014

Abridgment and abbreviation in Arabic literary heritage Up to seventh century Hijri

Manal Mahmoud Naser*

(Received 21 / 11 / 2013. Accepted 16 / 4 / 2014)

□ ABSTRACT □

This research sheds light on the movement of abridgment and abbreviation Arabic literary heritage , defining and specifying the concept of abbreviation in old scripts and showing the motivations as well as the purposes for abridgment of old books . the research also offer methods and aspects of abridgment those books . it presents Arab scholars view points toward this . the research also provides a critical approach to summaries of Ibn Alsukait s book " Islah Al-mantiq " as a sumple of a book that has been – more than once – asubject to abridgment .

Keywords : abridgment , abbreviation , Arabic literary heritage

***master's degree** , **Department of Arabic , Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University, Lattakia , Syria**

مقدمة:

تعدّ حركة التّهذيب والاختصار في التراث العربي من الحركات التي شكّلت أحد ملامح التأليف عند العلماء العرب, وتكمن أهميتها في مقاربة المختصرات الأدبية لأهم الأصول العربية القديمة, وعرض مادتها العلمية وفق منهج يصطفي زبدتها, مهذّباً إياها من الحشو والأغلاط والتكرار . و سيعمد البحث إلى تحديد مفهوم الاختصار ونشأته في التراث العربي, ثمّ يعرض لبواعث التهذيب ومناهجه, ومواقف العلماء العرب منه, قبل أن يقدّم قراءة نقدية لمختصرات كتاب إصلاح المنطق لابن السكّيت, محاولاً الوصول إلى نتائج تبرز أهمية حركة التهذيب والاختصار في التراث العربي .

أهمية البحث وأهدافه:

تتأتى أهمية هذه الدراسة من عاملين اثنين:الأول قلة الدراسات التي تناولت هذه المختصرات، إن لم نقل غيابها؛ إذ لم يتجاوز النقد العربي الحديث حدود تأليف مقدمات لكتب المختصرات المحقّقة. والثاني أنّ هذه المختصرات تشكّل مرآة تعكس المعطيات الحضارية والثقافية والأدبية التي رافقت العصر الذي كتبت فيه. وهذا ما حفّزني إلى استشراف الملامح المنهجية في تأليف هذه الكتب, وتطوّرها على يد الأعلام العرب حتّى نهاية القرن السّابع الهجريّ، متوخية الوصول إلى نتائج تبرز أهمية هذه المختصرات في تشكيل الوعي النقديّ الأدبيّ.

ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على كتب المختصرات الأدبية , وإبراز أهميتها التاريخية على المستوى الفكريّ والثقافيّ والنقديّ، كما يهدف إلى بيان مواكبة هذه الكتب لتطور مناهج التأليف عند العرب القدماء , وتحديد أسباب هذا الضرب من التأليف , ودوره في رفد السيرورة الحضارية للأمة العربية بمعطيات جديدة نابعة من حركة التغيرات الاجتماعية والأدبية لهذه الأمة.

منهجية البحث:

سيعتمد البحث على المنهج التاريخي في عرض مادته العلمية ؛ إذ يستحضر الباحث في ضوء هذا المنهج الظروف التاريخية التي أفرزت ظاهرة الاختصار, ويتيح هذا المنهج للبحث إمكانية قراءة الكتب, وبواعث تأليفها, ومنهجيتها, قراءة نقدية تربط بين هذه الكتب وزمان تأليفها , ممّا يساعد على اكتناه أصالتها وقيمتها المعرفية دون عزلها عن محيطها الزماني والمكاني.

أولاً– مفهوم الاختصار ونشأته في التراث العربي:

مع تطوّر حركة التأليف في التراث العربي، وتشعب العلوم وتعددها، وانتشار الكتب الموسوعية و الأمالي المتناثرة، برزت الحاجة إلى التهذيب والاختصار من منطلق حصر الفوائد وترتيبها وتيسيرها للقرّاء ؛ إذ يتناول المؤلف كتاباً بعينه، ثم يشرع في تهذيبه أو اختصاره، فيحذف منه متوخياً الإيجاز، أو يزيد عليه نشداناً للإيضاح، أو غير ذلك من مناهج التهذيب والاختصار.

والاختصار لغة هو حذف الفضول من كلّ شيء، " واختصار الكلام: إيجازه، والاختصار في الكلام: أن تدع الفضول و تستوجز الذي يأتي على المعنى " [1]. وتقترب هذه الدلالة اللغويّة لمفهوم الاختصار من دلالته الاصطلاحية،

[1] **لسان العرب، الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 2004، مادة (خصر) .**

ولاسيما في مجال اختصار الكتب الأدبية وتهذيبها؛ إذ تطالعنا في عناوين هذه الكتب جملة من المصطلحات التي تتماهى مع البعد اللغويّ القائم على الإيجاز والحذف، ومن هذه المصطلحات: مختصر، تهذيب، موجز، تلخيص، الاقتضاب، المختار، المنتقى، المنتخب، وغير ذلك من المصطلحات التي تكشف عن مضمون هذه الكتب، وهو مضمون يستند في جوهره إلى أصول الكتب، لكنّه يبتعد عنها من ناحية الشكل أو يقترب بحسب المؤلف، وغايته من الاختصار.

ثانياً – بواعث تهذيب الكتب التراثية وأهدافه

تعدّدت أسباب ظهور حركة تهذيب الكتب في التراث العربي واختصارها، وترتبط هذه الأسباب ارتباطاً وثيقاً بالأهداف التي يتوخّى المختصِر بلوغها عبر اختصاره، فمؤلف المختصرات لا بدّ أن يكون مدفوعاً بدوافع ذاتيّة أو موضوعيّة في تأليفه، سعياً وراء أهداف يرى فيها فوائد قصر عنها الكتاب الأصليّ، أو أنّها مبثوثة في تضاعيفه دون ترتيب، أو غير ذلك من البواعث والأهداف التي سيحاول البحث تقصّيها وحصرها.

1– النزول عند رغبة الأمراء والوزراء وأهل العلم في اختصار الكتب القديمة:

عمد بعض المؤلّفين إلى اختصار أمّهات الكتب التّراثيّة نزولاً عند رغبة الأمراء , أو الوزراء الذين كانوا حريصين على الانتفاع من العلوم الكامنة في هذه الكتب، إلّا أنّ كثرة مشاغلهم من جهة، ورغبتهم في تيسير قراءة الكتب الطويلة بزمن قصير من جهة أخرى، دفعتهم إلى الطلب إلى علماء يخدمون في بلاطهم اختصار هذه الكتب. وقد صرّح قسم من هؤلاء العلماء بهذا الطلب، وأهدوا نتاجهم إلى أمرائهم تقرّباً منهم، دون أن يحمل هذا التقرّب معنى التزلّف دائماً، بل إنّ الغاية العلمية، أحياناً، هي التي كانت تحدو على تهذيب الكتب واختصارها، وإن كان الباعث رغبة أمير أو طلب وزير، وهذه الغاية هي التي جعلت أهل العلم في بعض الأحيان يطلبون إلى علماء عصرهم اختصار كتب بعينها، رغبة منهم في تهذيب منهجها، وشرح فوائدها.

ومن هذه التصاريح ما ذكره القاضي عضد الدين الإيجي في مختصره لكتاب (مفتاح العلوم) للسكاكي؛ إذ يهدي هذا المختصر إلى الوزير الكبير غياث الدين محمد رشيد الدين، حتى إنّه يسميه (الفوائد الغياثية في علوم البلاغة) نسبة إلى اسم الوزير، يقول الإيجي في مقدمة كتابه بعد حمد الله والصلاة على نبيه: "... وبعد، فهذا مختصر في علم المعاني والبيان، يتضمّن مقاصد (مفتاح العلوم)، وسمّيته بالفوائد الغياثية تيمّناً باسم من ألقى إليه الدّهر قياده، وقام بأمر الملك بأيد فأقامه، وما آداه. بابه قبلة الحاجات، يطوى إليه كلّ فج عميق، ويلوى إليه أعناق الآمال من كلّ بلد سحيق، يُعفِر في فنائه جباه الصيد، وتتزاحم لاستلام عتبته شفاه الصناديد، وامتثالاً له حين أمر بتلخيص مستودعاته وتجريدها عن فضفاض عباراته المنمنمة... " [2]. وهذا القول يفصح عن مكانة الوزير غياث الدين في نفس الإيجي، والمبالغات الواردة في ذكر صفاته تدفعنا إلى القول بأنّ التقرّب إليه كان الدافع الرئيس لدى الإيجي إلى تأليف هذا الكتاب، وهذا جلي قي قوله (وامتثالاً له حين أمر).

أما الجواليقي فإنه يصرح في تقديم كتابه (شرح أدب الكاتب) برغبة أهل العلم في اختصار كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة وتهذيبه ، ودورهم في دفعه إلى تأليف كتابه، يقول الجواليقي: "... وبعد، فإنه سألني جماعة من أهل العلم أن أذكر لهم من شرح خطبة أدب الكاتب أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله، وتفسير أبياته،

---

[2] **الفوائد الغياثية في علوم البلاغة، للعلامة عضد الدين الإيجي، دراسة و تحقيق و تعليق : عاشق حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة– دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1991 م، ص 109 .**

وإيضاح مشكلاته، وتبيين ما رُدَّ عليه فيه، ما لا تسع جهالته، ولا تُسْئَمُ إطالته، فأجبتهم إلى ذلك " [3]. وتنطوي استجابة الجواليقي على بواعث أخرى سيأتي ذكرها لاحقاً.

وجاء في كشف الظنون جملة من الكتب المختصرة التي كان الباعث على تأليفها طلب الآخرين، ونذكر منها: كتاب (السنن الكبير) ألّفه النسائيّ، وهو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الحافظ المتوفى سنة (303 هـ) وروي أنّ بعض الأمراء سأل عنه: أكلُّه صحيح، فقال: لا، فقال: فاكتب لنا الصحيح مجرّداً، فلخّص السنن الصغيرة منها، وترك كل حديث أورده في الكبير مما تكلّم في إسناده بالتعليل، وسمّاه (المجتبى) [4].

و(خلاصة الفتاوى) الذي ألّفه الشيخ الإمام طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري المتوفّى سنة (542 هـ) ، وقد ذكر في أوّله أنه كتب في هذا الفن خزانة الواقعات وكتاب النصاب، فسأله بعض إخوانه تلخيص نسخة قصيرة يمكن ضبطها، فكتب (الخلاصة) خالية عن الزوائد، مع بيان مواضع المسائل، وكتب فهرست الفصول والأجناس على رأس كل كتاب ليكون عوناُ لمن ابتلى بالفتوى [5].

وكتاب (الدروس في النّحو) ألّفه أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي المعروف بابن الدهان النحويّ المتوفّى سنة (565 هـ) , وذكر فيه إنّه سأله من إجابته عنده غنم لحقوقه السالفة أن يشرح المقدمة التي سماها بالدروس، وأخرج منها المتوهّم إلى المحسوس، وكان أنشأها للمبتدئين مختصرة حرصاً على تحصيلها [6].

أمّا (الدرّة الثمينة في أخبار المدينة) فألّفه محبّ الدين محمد بن محمود ابن النجار الحافظ المتوفّى سنة (643 هـ) وهو تاريخٌ مختصرٌ, وذكر إنه لما دخل المدينة سأله أهلها أن يجمع تاريخها فأجاب، ورتّب كتابه على ثمانية عشر باباً [7].

2- أهمية الكتب القديمة والاستطراد والتّطويل الحاصل فيها:

تختزن الكتب التراثية القديمة مجموعة من المعارف كبيرة ومتنوعة ، وقد استلزم هذا التّنوّع إطالة في الحديث عند بعض المؤلفين، فكانوا يكثرون من الشرح والتعليق، ويستطردون في مواضيع مختلفة دفعاً للسأم تارة، وتعزيزاً للفائدة تارة أخرى، إلّا أنّ هذا التطويل قد شقّ على القراء، فكان أن نهض العلماء اللاحقون باختصار هذه الكتب وتهذيبها، متخفّفين من الحديث المكرّر، والمعلومة المتواترة، دون أن ينكروا أهميّة الأصل وفضله.

ومن المؤلّفات المطوّلة التي خضعت للاختصار, على أهميتها, كتاب (حلية الأولياء في الحديث) للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفّى سنة (430 هـ)، وهو مجلّد ضخم وكتاب حسن معتبر – بحسب كشف الظنون – يتضمن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة الأعلام المحققين، والمتصوّفة والنسّاك، وبعض أحاديثهم وكلامهم. لكنّ الحافظ الأصبهاني أطال فيه بالأسانيد، وتكرار كثير من الحكايات، وأمور

---

[3] شرح أدب الكاتب للجواليقي، موهوب الجواليقي، تحقيق و دراسة : الدكتورة طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت، ط 1، 1995 م، ص 1 من الكتاب .

[4] انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج 2، ص 1006 .

[5] انظر : نفسه، ج 1، ص 718 .

[6] انظر : نفسه، ج 1، ص 752 .

[7] انظر : نفسه، ج 1، ص 739 .

أخرى منافية لموضوعه ؛ ولذلك اختصره الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي كما مرّ معنا، وسماه (صفوة الصّفوة)، وأوجز في الاختصار بشكل لم يبقَ منه إلّا رسومه [8].

وقد مرّ معنا قول الجواليقي في البواعث على تأليف كتابه (شرح أدب الكاتب)، وكان ممّا ختم به مقالته في أسباب التأليف رغبته في دفع السأم المتولد من الإطالة [9]، أما ما لم يذكره الجواليقي صراحة فهو أهمية كتاب ابن قتيبة، ولعلّ هذه الأهمية هي التي دفعت أهل العلم في ذلك الزمان إلى طلب شرحه وتهذيبه، فقد حظي كتاب (أدب الكاتب) بعناية كبيرة من العلماء والأدباء، فأقبلوا عليه شرحاً واختصاراً وتأليفاً على منواله، فكان ممن شرح (أدب الكاتب) انطلاقاً من أهميته، كما تذكر الدكتورة طيبة بودي في دراستها التي تقدّمت تحقيقها لكتاب (شرح أدب الكاتب) للجواليقي: الزجاجي وإسحق بن إبراهيم الفارابي وعبد الباقي بن محمد و الجواليقي في الشرق، وابن القوطيّة وابن بلال المرسي وأبو الحزم البطليوسيّ وابن السّيد البطليوسيّ و الجذامي في الأندلس [10]، كما وقف محمد الدّالي في سياق تحقيقه لكتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة الدينوري على شروحات ومختصرات أخرى لم تذكرها الدكتورة طيبة، وهي: غلط أدب الكاتب لابن كيسان، وشرح خطبة أدب الكاتب لأبي الكرم المبارك بن الفاخر، وتفسير أبيات أدب الكاتب للخارزنجي، وشرح أدب الكاتب للزهراويّ [11].

وفي المقابل فقد لمّح الخطيب القزويني، عندما قام بتلخيص القسم الثالث من كتاب (مفتاح العلوم) للسكاكي، وهو القسم الخاص بعلوم البلاغة، لمّح إلى التطويل الذي يكتنف الكتاب، إلّا أنّ القزويني لا يفوته ذكر أسباب أخرى دفعته إلى تلخيص المفتاح، وهي أسباب تعطي العلم والعالم حقّهما من الإقرار بفضلهما، فعلم البلاغة علم جليل يحتاجه كلّ راغب في التّبحّر بأسرار اللغة العربيّة، وكتاب السّكاكيّ من أوفى الكتب التي وقّت هذا العلم ما يستحقّه من البحث والتبويب، وهذه الأسباب مجتمعة شكّلت الباعث على تأليف القزويني للتلخيص، يقول القزويني: " أمّا بعد، فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجلِّ العلومِ قدراً، وأدقِّها سرّاً؛ إذ به تُعرف دقائق العربية وأسرارها، وتُكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها ؛ وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنّفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي أعظم ما صنّف فيه من الكتب المشهورة نفعاً، لكونه أحسنها ترتيباً، وأتمّها تحريراً، وأكثرها للأصول جمعاً ؛ ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد، قابلاً للاختصار، مفتقراً إلى الإيضاح والتجريد: أَلَّفْتُ مُختصراً يتضمّن ما فيه من القواعد، ويشتمل على ما يُحتاج إليه من الأمثلة والشواهد ... " [12].

ومن طرائف اختصار المطوّلات ما فعله الملك المؤيّد إسماعيل بن علي الأيوبي المعروف بصاحب حماة المتوفى سنة (732 هـ) في تأليف كتابه (المختصر في أخبار البشر) ليكون مغنياً عن مراجعة الكتب المطولة، فاختصر من الكامل وسواه نحو عشرين مجلداً، إلّا أنّ هذا المختصر نفسه قد اتُّهم بالإطالة، فاختصره الشيخ الإمام

---

[8] انظر : نفسه، ج 1، ص 689 .

[9] انظر : شرح أدب الكاتب للجواليقي، ص 1 من الكتاب .

[10] للتوسع في هذه الشروحات انظر : نفسه، ص 18 – 21 من التقديم و الدراسة .

[11] أدب الكاتب، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، حققه و علّق حواشيه و وضع فهارسه : محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981 م، ص 9م – 10م .

[12] التلخيص في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين محمد بين عبد الرحمن القزويني الخطيب، ضبطه و شرحه : عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط 2، ص 22 – 23 .

زين الدين عمر بن المظفر المعروف بابن الوردي الشافعي المتوفّى سنة (750 هـ)، وقد لحق هذا الاختصار نحو ثلثي الكتاب, بعد أن حذف منه ابن الوردي الشافعي ما حذفه أسلم، وسمّاه (تتمة المختصر) [13].

3 – نقد الكتب القديمة وتصحيح الأغلاط الواردة فيها:

على الرغم من غزارة العلم الكامن في الكتب التراثية القديمة، فإنها لا تخلو من زلّات وأغلاط وآراء تحتمل النقاش، كما أنّها لا تخلو من غموض أدّى إلى الغلط في قراءتها أو نسخها، وقد شكّلت هذه الأغلاط باعثاً على تأليف كتب كثيرة لاحقة لهذه الأصول تعنى بتهذيب أخطائها، ونقد بعض أفكارها، ويعدّ هذا الباعث من أهمّ البواعث على تأليف كتب التهذيب والمختصرات، والأمثلة على ذلك متعدّدة.

فقد ضم كتاب (شرح أدب الكاتب) للجواليقي جملة من الاستدراكات التي سجلها المؤلف على ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) ؛ إذ يرصد الجواليقي في معرض شرحه للكتاب الأصلي مآخذ نحويّة وقع فيها ابن قتيبة، كما يقف عند استدراكات وزيادات في الأبواب الصرفيّة، وأكثر هذه الاستدراكات ما هو متعلّق بتفسير دلالات ما ورد في الكتاب من ألفاظ [14]، ومن هنا يمكننا القول : إنّ الجواليقي قد هذّب كتاب ابن قتيبة مدفوعاً بما فيه من أخطاء وعثرات.

ومن الكتب التي تناولت كتاب ابن قتيبة بالنقد والشرح والتفسير كتاب (الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب) لابن السيد البطليوسيّ؛ إذ يقسم البطليوسيّ مؤلَّفه إلى ثلاثة أجزاء، يختصّ الجزء الأول بشرح خطبة الكتاب الأصلي، أما الجزآن الآخران فهما في نقد أغلاط الكتاب وشرح أبياته. ويحصي البطليوسيّ في الجزء الثاني من كتابه جملة من الأغلاط التي وقع فيها ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب)، فيعمد إلى التنبيه عليها وفرزها وتصنيفها، مستعيناً على ذلك بالشّواهد والأمثلة، يقول البطليوسيّ في مقدّمة الجزء الثاني من كتابه: " وهذا حين أبدأ بذكر مواضع من أدب الكتّاب، يلزم التنبيه عليها، وإرشاد قارئه إليها، وليس جميعها غلطاً من ابن قتيبة، ولكنها تنقسم أربعة أقسام:

القسم الأول منها: مواضع غلط فيها، فأُنبه على غلطه.

والقسم الثاني: أشياء اضطرب فيها كلامه، فأجاز في موضع من كتابه، ما منع فيه في آخر.

والقسم الثالث: أشياء جعلها من لحن العامّة، وعوَّل في ذلك على ما رواه أبو حاتم عن الأصمعي، وأجازها غير الأصمعي من اللغويين، كابن الأعرابي، وأبي عمرو الشيباني، ويونس، وأبي زيد وغيرهم، وكان ينبغي له أن يقول: إنّ ما ذكره هو المختار، أو الأفصح، أو يقول: هذا قول فلان، وأمّا أن يجحد شيئاً وهو جائز، من أجل إنكار بعض اللغويين له، فرأي غير صحيح، ومذهب ليس بسديد.

والقسم الرابع: مواضع وقعت غلطاً في رواية أبي علي البغدادي المنقولة إلينا، فلا أعلم أهي غلط من ابن قتيبة، أم من الناقلين عنه. وأنا شارع في تبيين جميع ذلك، وترتيبه على أبواب الكتاب، بحسب ما أحاط به علمي، وانتهى إليه فهمي " [15].

ويمكننا أن نستشف من هذا التقديم جملة من الملاحظات: أولاها أنّ البطليوسي قد استفزته الأغلاط الواردة في الكتاب الأصلي، فعمد إلى تهذيبه والتنبيه على أخطائه، وكان ذلك الباعث الرئيس على تأليفه للاقتضاب، وثانيتها أن البطليوسي يميّز بين أغلاط المؤلّف الأصلي (ابن قتيبة) وأغلاط من نقل عنهم، كما يميّز بين أغلاطه وأغلاط من نقل

---

[13] انظر : كشف الظنون، ج 2، ص 1629 .

[14] للتوسع في هذه الاستدراكات انظر دراسة الدكتورة طيبة بودي في مقدمة تحقيقها لكتاب (شرح أدب الكاتب) للجواليقي، ص 46.

[15] الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، القسم الثاني، تحقيق : الأستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1996 م، ص 5 – 7 .

عنه، وهذا ينمّ على أمانة علمية تحاول نسب الخطأ إلى صاحبه، وثالثتها تتبّع البطليوسيّ الدقيق للمواضع التي يناقض فيها ابن قتيبة نفسه، وفي ذلك ملمح من ملامح النقد الحصيف الذي لا تفوته المتناقضات، ورابعتها أنّ البطليوسي يرتّب هذه الأغلاط على أبواب الكتاب وفق منهجية تيسّر على القارئ تتبّعها، وخامستها أنّ البطليوسي، وعلى الرغم من كلّ ما وقف عليه من أغلاط، و إغناء وقوفه هذا بالشواهد و المرويّات الغزيرة، يتجلبب بلباس التواضع زاعماً أنّ هذا ما أحاط به علمه، وانتهى إليه فهمه، فهو بذلك لا يغلق الباب أمام مراجعات جديدة في هذه الأغلاط، منه أومن سواه. ولعلّ في هذه الملاحظات ما يسوّغ لنا إسباغ صفة (القيّم) على اقتضاب البطليوسي.

أما الجزء الثالث من كتاب (الاقتضاب) فقد خصه البطليوسي لشرح أبيات الكتاب الأصلي، وذلك لما رأى في الشروح من أغلاط في تفسير المعاني يقع فيها قارئ الكتاب، ويعلّل البطليوسي هذه الأغلاط بقوله في مقدّمة الجزء الثالث: " فإنا رأينا كثيراً من المفسرين للأبيات المستشهد بها، قد غلطوا في معانيها، حين لم يعلموا الأشعار التي وقعت فيها؛ لأن البيت إذا انفرد احتمل تأويلات كثيرة " [16]. ويكتسب هذا التعليل قيمة نقدية متميزة, إذ يلحظ البطليوسي أهمية تتبع المعنى في الأبيات السابقة أو اللاحقة للبيت المُستشهد به, واكتمال المعنى سبيلُ المفسّر إلى صحّة التأويل. وبعد أن يورد البطليوسي جملة من الشواهد على الأغلاط في تفسير معاني الأبيات المنفردة ؛ يحاول إيجاد العذر لمن يغلط في معاني الأبيات، فيقول: "ولم أقصد بما ذكرته تنقص العلماء والطّعن على الكبراء، فإنّ هذا أمر لم يكد يسلم منه بشر ممّن تقدّم أو تأخّر، وإنّما أردت التنبيه على شدّة الافتقار إلى حفظ الأشعار، وأنّ المتكلّم في معاني الأبيات المنقطعة عن صواحبها، لا ينبغي له أن يقطع على مراد قائلها، والزلة في مثل هذا مغتفرة؛ لأن الإحاطة ممتنعة متعذرة" [17].

ويبدو أن ابن السيد البطليوسي كان مشغولاً بتتبع أغلاط الكتب القديمة، فقد صنّف كتاباً في تصحيح أغلاط أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجيّ النحويّ المتوفّى سنة (339 هـ) في كتابه (الجمل في النحو)، وسمّاه (إصلاح الخلل الواقع في الجمل)، وفيه يذكر البطليوسي أنّ الزجاجي قد نزع في كتابه المنزع الجميل، فإنّه حذف الفضول واختصر الطويل، غير أنّه قد أفرط في الإيجاز، فتجده في كثير من كلامه بعيد الإشارة، فرأى – أي البطليوسي – أن ينبه على أغلاطه، والمختلّ من كلامه [18].

ومن الكتب التي كان الغلط في قراءة أصولها باعثاً على تأليفها كتاب (شرح أبيات إصلاح المنطق) لابن السيرافي، وحكاية تأليف هذا الكتاب تنهض بجملتها على خطأ وقع فيه والد المؤلّف في أثناء تفسيره بيتاً من كتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت، وكان ابن السيرافي حاضراً في مجلس والده، فشقّ عليه هذا الخطأ، وانصرف إلى العلم متفرّغاً له، وكان من نتاجه هذا الكتاب النفيس الذي يشرح فيه أبيات الكتاب الأصلي، وقد ذكر أبوالعلاء المعرّي هذه الحادثة، ووردت على ظهر نسخة من نسخ (إصلاح المنطق)، وفي ذكرها فائدة تجلو لنا أسباب الغلط في الوقوف على معاني الأبيات، يقول المعرّي: " حدّثني عبد السلام البصريّ خازن العلم ببغداد، وكان لي صديقاً صدوقاً، قال: كنت في مجلس أبي سعيد السيرافيّ وبعض أصحابه يقرأ عليه (إصلاح المنطق) لابن السكيت، فمضى بيت حميد بن ثور:

---

[16] **نفسه، القسم الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983 م، ص 5 .**

[17] **نفسه، ص 8 .**

[18] **انظر : كشف الظنون، ج 1، ص 603 .**

ومطويَّةُ الأقرابِ أمّا نهارُها فَسَبْتٌ وأمَّا ليلُها فذميلُ

فقال أبوسعيد: (ومطويةِ) أصلحه بالخفض، ثم التفت إلينا فقال: هذه واو رُبَّ. فقلت: أطال الله بقاء القاضي، إنَّ قبله ما يدل على الرفع. فقال: وما هو؟ فقلت:

أتاكَ بيَ الله الذي أنزلَ الهُدَى ونورٌ وإسلامٌ عليك دليلُ

ومطويةُ الأقرابِ.....

فعاد وأصلحه، وكان ابنه أبو محمد حاضراً، فتغيَّر وجهه لذلك، فنهض لساعته ووقته والغضبُ يستطيرُ في شمائله إلى دكانه، وكان سمّاناً، فباعها، واشتغل بالعلم إلى أن برع فيه وبلغ الغاية، فعمل شرح (أبيات) إصلاح المنطق " [19].

لم يشفع علم السيرافي له في قراءة بيت حميد بن ثور بشكل صحيح، وهو الذي شرح كتاب سيبويه وشواهده، وهو" شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة معرفة بالنحو واللغة والشعر والعروض... " [20]، فغلط في قراءته، وشكّل هذا الغلط الباعث الرئيس لدى ابنه وتلميذه في تأليف كتابه، شارحاً فيه كلّ الأبيات الواردة في كتاب ابن السكيت، رادّاً إياها على أصولها.

ومن الكتب التي أُلِّفت في تهذيب الكتب الأصلية، وتنقيتها من الشوائب والأخطاء، كتاب (التنبيه على أغلاط أبي علي في أماليه) للبكري، وهو كتاب يعمد فيه المؤلف إلى مقاربة أمالي القالي مقاربة نقدية تعتمد مبدأ المقارنة أو المعارضة؛ إذ " لمّا كان البكريّ وقف على الأصول التي أملى منها أبوعلي النوادر أمكنه أن ينتبه إلى مظانّ الوهم والخطأ والاختلاف في الأمالي بعد معارضتها بتلك الأصول " [21]، إذن فالباعث على تأليف هذا الكتاب هو الأخطاء التي وردت في الكتاب الأصليّ، سواء أكانت من القالي نفسه، أم من نسّاخ كتابه.

ومن الكتب الشهيرة التي وقعت في الغلط كتاب (الصحاح في اللغة) لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة (393 هـ)، وهو من الكتب اللغوية المشهود لها بالصّحة والدّقة، إلّا أنّه لم يسلم من المراجعة والتهذيب؛ إذ ينقل صاحب كشف الظنون عن التبريزي قوله: " وكتاب الصّحاح هذا كتاب حسن الترتيب، سهل المطلب لما يراد منه، وقد أتى بأشياء حسنة، وتفاسير مشكلات من اللغة، إلا أنّه مع ذلك فيه تصحيف لا يُشكّ في أنّه من المصنّف لا من الناسخ... ولا تخلو هذه الكتب الكبار من سهو يقع فيها، أو غلط " [22]. وقد ذكر ذلك ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء)، إذ يقول بعد أن أثنى على الكتاب، ومدَح مؤلفه: " هذا مع تصحيف فيه في مواضع عدة أخذها عليه المحقّقون وتتبّعها العالمون، ومن ذا الذي ما ساء قطّ ؟ ومن له الحسنى فقط ؟ فإنّه رحمه الله غلط وأصاب، وأخطأ المرمى وأصاب، كسائر العلماء الذين تقدّموا وتأخّروا عنه، فإنّي لا أعلم في الدنيا كتاباً سُلِّمَ إلى مؤلفه فيه، ولم يتبعه بالتتبّع من يليه " [23]. ومن الملاحظ أنّ كلا الكاتبين، التبريزي وياقوت، يسوّغان للجوهري غلطه، حتى إنّ ياقوت ينسب

---

[19] وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، حققه : الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972 م، المجلد السابع، ص 73 .

[20] معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق : الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1993 م، القسم الثاني، ص 878 .

[21] سمط اللآلي، المحتوى على اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري الأونبي، تحقيق : عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1936 م، ص (ل) من التصدير .

[22] كشف الظنون، ج 2، ص 1071 – 1072 .

[23] معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ص 657 .

أغلاط الكتاب إلى تلميذ الجوهري أبي إسحق إبراهيم بن صالح الورّاق، معتمداً في ذلك على روايتين: الأولى في كتاب (بحر الذهب في معرفة أئمة الأدب) لأبي الحسن علي بن فضال المجاشعيّ، والثانية في كتاب (ضالّة الأديب من الصحاح والتهذيب) لمحمود بن أبي المعالي الحواري، وملخّص الروايتين أن الجوهري مات ولم يَسمع أو يُقرأ عليه من كتابه غير باب الضاد المعجمة، وبقي أكثر الكتاب على سواده، ولم يُقَدَّر له تنقيحه ولا تهذيبه، فبيّضه الوراق بعد موته، فغلط فيه في مواضع متعدّدة غلطاً فاحشاً [24]. وسواء أكانت هذه الرواية صحيحة أم لا – إذ يقتضي هذا السبب أن لا يكون التصحيف إلا في باب الضاد وما بعده – فإن كتباً كثيرة استدركت على الصحاح أغلاطه، ولخّصت ما فيه من فوائد، فقد ألّف الإمام أبو محمد عبد الله بن بري المتوفّى سنة (582 هـ) حواشي على الصحاح، وصل فيها إلى أثناء حرف الشين، وسمّاها (التنبيه والإفصاح عمّا وقع من الوهم في كتاب الصحاح)، وألّف الإمام رضي الدين حسن بن محمد الصغاني المتوفّى سنة (650 هـ) كتاب (التكملة على الصحاح)، ذكر فيه ما فات الجوهري من اللغة، وألّف أبوالحسن علي بن يوسف القفطي كتاباً في إصلاح خلله، كما اختصره كتّاب كثيرون، أشهرهم الشّيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازيّ الذي سمّى كتابه (مختار الصّحاح)، مقتصراً فيه على ما لا بدّ منه في الاستعمال [25]. ومثل ذلك في اللّغة ما فعله أبوبكر محمد بن الحسن الزبيديّ المتوفّى سنة (379 هـ) في كتابه (الاستدراك على كتاب العين)، وفيه يرصد جملة من الأغلاط التي وقع فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي مؤلّف (كتاب العين)، وهي برأي الزبيدي كثيرة، حتى إنّه يقول إنّ الكتاب لا يصح أنه للخليل، ولا يثبت عنه [26]، والحق أنّ استدراكات الزبيدي لا تخلو من الوهم, بحسب بعض العلماء [27].

ولم تسلم بقيّة العلوم من التنقيح والتهذيب، ومن ذلك في علوم الطبّ كتاب (منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان)، وهو كتاب في الأدوية المفردة والمركّبة لابن جزلة علي بن عيسى الكاتب من تلامذة نصير الطوسي الطبيب المتوفّى سنة (493 هـ)؛ إذ إن للشيخ الفاضل عبد الله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار المتوفّى سنة (646 هـ) تعليقة على الكتاب الأصلي سمّاها (الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام)، وفيه يقول ابن البيطار: إنّ ابن جزلة قد أجاد في منهاجه، ولكنّه أهمل المجهول، فأدّى ذلك إلى اعتراض بعض القرّاء عليه، إذ فاته ذكر أشياء يسيرة في جنب فوائده الغزيرة، من إهمال مفرد أو تنبيه على اسم أو منفعة أو مضرّة أو بدل أو قدر وزن، فجمع ابن البيطار في تعليقته ما فاته [28].

4- صعوبة الكتب القديمة وقصور الهمم عن الإلمام بها:

قلنا إنّ الكتب القديمة تتميز بوصفها خزّاناً للمعارف المتنوّعة، ويتطلّب ذلك من القارئ جهداً كبيراً في تتبّع فوائدها، وقد قصرت الهمم في العصور اللاحقة عن ذلك نظراً لصعوبة هذه الكتب وغموضها وتشعبها، فكان أن نهض بعض المختصرين بمهمة تلخيصها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب (كشف الظنون) وغيره من الكتب التي ترصد أهمّ المؤلفات في التراث العربي.

---

[24] انظر : نفسه، ص 658 – 660 .

[25] للتوسع في مختصرات الصحاح انظر : كشف الظنون، ج 2، ص 1072 – 1073 .

[26] انظر : نفسه، ج 2، ص 1442 .

[27] انظر : كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط 1، 1988 م، ج 1، ص 26 .

[28] انظر : كشف الظنون، ج 2، ص 1870 – 1871 .

إذ ينقل الشيخ حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون) عن ابن الجوزي ما مفاده أنّ المشهور والمتداول من (تاريخ الطبري)، وهو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير المتوفّى سنة (310 هـ)، هو مختصر من الكبير، ثم يقول خليفة في سياق تسويغ الاختصار: " ذكر ابن السبكي في طبقاته إنّ ابن جرير قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا: كم قدره ؟ فذكر إنّه ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا ممّا يفني الأعمار قبل إتمامه. فقال: أنا لله **ماتت الهمم**. فاختصره في نحو ما اختصر التفسير " [29]. إذ كان الطبري قد اختصر تفسيره الكبير للقرآن الكريم للسّبب نفسه وفق رواية ياقوت الحموي [30].

كما جاء في (كشف الظنون) أنّ الإمام محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة (189 هـ) ألّف كتاباً في فروع الحنيفة اسمه الزيادات, وقد شرحه واختصره قوم كثيرون, منهم الإمام أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر العتابي المتوفّى سنة (586 هـ)، وقد قال في بداية شرحه " لمّا رأيت في أهل الزمن زمانةً في اقتباس العلم، **ولاختصار هممهم** اختاروا المختصر من كلّ شيء، حملني ذلك أن أكتب شرح الزّيادات، موجز العبارات والنكات، وأجتهد في بسط ما صعب منها... " [31].

ومن الكتب التي استكثر مادتها القرّاء، وقصرت هممهم عن تتبّع فوائدها، كتاب (المحصول في أصول الفقه) لفخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفّى سنة (606 هـ)؛ إذ اجتمع على شرحه واختصاره نفر من العلماء والمعلّقين، ولعلّ من أشهر اختصاراته كتاب (التحصيل) لسراج الدين أبو الثناء محمود بن أبي بكر الأرموي المتوفى سنة (682هـ)، وقد ذكر فيه أنّ **الهمم قد قصرت** عن المطالب العالية، إلى أن استكثروا اليسير، حتى إنّ (المحصول) مع نظافة نظمه، و لطافة حجمه، يستكثره أكثرهم، فالتمس بعضهم منه اختصاره مع زيادات من قبله، فأجاب. وقد سبقه إلى ذلك القاضي تاج الدين محمد بن حسين الأرموي المتوفّى سنة (656 هـ)، الذي اختصر كتاب (المحصول) وسمّاه (الحاصل)، وفيه يقرّظ القاضي الأرموي الكتاب الأصل، لكنه يستدرك قائلاً: غير أنّ الطباع تتحاماه لكبر الحجم. فكان أن اختصره من جهة اللفظ دون المعنى، وحذَف منه ما تكرّرت من مباحثه، وقلّت الحاجة إليها، وكلّ ذلك **لقصور همم القرّاء** عن العناية بالكتاب كاملاً [32].

ولعلّ في صعوبة بعض الكتب ما يسوّغ قصور الهمم عن متابعتها، ومن ذلك كتاب (أصول الإمام فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي) المتوفّى سنة (482 هـ)، " وهو كتاب عظيم الشّان، جليل البرهان، محتوٍ على لطائف الاعتبارات بأوجز العبارات، تأبّى على الطلبة مرامه، واستعصى على العلماء زمامه، وقد انغلقت ألفاظه، وخفيت رموزه وألحاظه، فقام جمع من الفحول بأعباء توضيحه، وكشف خبياته وتلميحه " [33].

ومن ذلك أيضاً بحسب كشف الظنون: الإمام حسام الدين حسين بن علي الصغنائي الحنفي المتوفّى سنة (710 هـ)، وقد سمّى مؤلّفه (الكافي)، والإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفي المتوفّى سنة (730 هـ)، وسمّاه (كشف الأسرار)، وغيرهما كثير [34].

---

[29] نفسه، ج 1، ص 297 – 298 .

[30] انظر كتابه : معجم الأدباء، ص 2442 .

[31] كشف الظنون، ج 2، ص 963 .

[32] انظر : نفسه، ج 2، ص 1615 .

[33] نفسه، ج 1، ص 112 .

[34] للتوسع انظر : نفسه، ج 1، ص 112 – 113 .

ثالثاً – مناهج تهذيب الكتب التراثية وخصائصه

تعددت مناهج كتب التهذيب والمختصرات وأساليبها تبعاً لشخصيّة المختصِر العلميّة، وثقافته، وهدفه من الاختصار، ممّا شكّل غياب منهجية واحدة تطبع كتب المختصرات بشكل عام، دون أن يعني ذلك تخبطاً في عرض المادة العلمية ؛ بقدر ما يعني تنوع طريقة هذا العرض بما يتساوق مع غاية التهذيب أو الاختصار.

وسيحاول البحث تحديد أهم المناهج المتبعة في كتب التهذيب والمختصرات، وهي:

1 – الاختصار بالحذف:

وهي منهجية تسم معظم كتب المختصرات؛ إذ يعمد المؤلِّف إلى تقليل اللفظ مع المحافظة، قدر الإمكان، على المعنى، فيحذف ما يراه زيادة في الأصل، ويبقي على ما يراه مهماً، ومن أبرز محذوفات كتب المختصرات: التكرار، والأسانيد، والشواهد المتعدّدة، وعبارات المديح أو الذمّ، والأغلاط، وكلّ ما يمس العقيدة أوالدين أو الأخلاق.

ففي كتاب (الفوائد الغياثية في علوم البلاغة)، على سبيل المثال، يختصر عضد الدين الإيجي كتاب (مفتاح العلوم) للسكاكي، فيغفل بعض التفاصيل، ويتجاوز بعض الأمثلة، ويلتزم الاقتضاب في التحليل، كلّ ذلك دون أن يمس جوهر الكتاب الأصل وأفكاره الرئيسة، وقد سوّغ الإيجي عمله هذا في مقدّمة مختصره؛ إذ يقول بعد أن يهدي صنيعه في هذا الكتاب إلى الوزير غياث الدين محمد رشيد الدين: "... وامتثالاً له حين أمر بتلخيص مستودعاته وتجريدها عن فضفاض عباراته المنمنمة، التي تستميل النفوس بحسنها، وتشتغل بريق شفيفها، ومؤنق تفويفها عن مشاهدة محاسن الخرائط المتحلية بها، والتمتّع بلطائف خلقهن، وشمائلهن، ليجتليها وهي غوان مرفوضة السّتر، ومرفوعة الجمال، مماطة اللّثام، منضوة الجلباب، فيقضي منها وطره، في أقصر مدة " [35]. والكلام هنا على الكتاب الأصل الذي يرى فيه الإيجي حشواً يعيق تدبّر فوائده الجليلة.

والاختصار بالحذف كان سمة بعض مختصرات (الكتاب) لسيبويه؛ إذ يقرّ الجرمي صالح بن إسحاق، وهو واضع أقدم مختصرات (الكتاب)، أنّه لم يضع كتاباً في النحو، وإنّما اختصر كتاب سيبويه، وكذا أبو البقاء العكبري الذي اختصر كتاب سيبويه وسمّاه (لباب الكتاب)، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي النحوي الذي سمّى كتابه (التجريد لأحكام كتاب سيبويه) [36].

2 – التهذيب بالزيادة:

عمد بعض المؤلّفين إلى تناول الكتب الأصول وفق منهجيّة تقارب المتن الأصليّ بالزّيادة والشّرح والتّحليل والنقد؛ إذ يضيف مؤلّف التهذيب إلى الكتاب الأصلي جملة من المعارف التي يستمدّها من شخصيّته العلميّة، وقدرته على الفهم والتحليل، وبراعته في استكشاف الأغلاط وتصحيحها، وفي هذا المنهج التأليفيّ تبرز شخصية المؤلّف على نحو يصبح معه الكتاب المهذّب أصيلاً بشكل أو بآخر، ومن أبرز كتب التهذيب بالزيادة الشروحات والتفاسير.

ومن أمثلة ذلك في مجال الشروحات اهتمام العلماء بكتاب سيبويه؛ إذ نهض إلى شرحه مجموعة كبيرة من المؤلفين، منهم أبو عثمان بكر بن محمد المازني البصري، وأبو بكر بن السراج محمد بن السري البغدادي، وأبو سعيد

---

[35] الفوائد الغياثية في علوم البلاغة، عضد الدين الإيجي، ص 109 – 110 .

[36] للتوسع انظر : الكتاب – كتاب سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 3، 1988 م، مقدمة التحقيق، ص 42 – 43 .

السيرافي، وغيرهم ممّن قاموا على تناول (الكتاب) بين شرح له، أو تعليق عليه، أو تفسير لأبياته، أو كلام على أبنيته، وهذا كله يندرج في إطار التهذيب بالزيادة [37].

وفي مجال التفاسير نذكر كتاب (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي الذي عمد إلى تفسير القرآن الكريم عبر تلخيص مجموعة من التفاسير المتقدّمة، وضمّ إلى ذلك التلخيص " ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة والتصرّفات المقبولة، فجلا رين الشكّ عن السريرة، وزاد في العلم بسطة وبصيرة " [38].

3 – إعادة ترتيب المفردات المعرفية:

لاحظ بعض العلماء اضطراب المنهج في طائفة من كتب الأوائل، فمع إقرارهم بغزارة العلم الوارد فيها، فإنّ تشعّب هذه العلوم، واستطراد المؤلّف في سردها, بغضّ النظر عن ترتيبها، جعل تتبّعها في الكتاب الأصليّ صعباً على طالب العلم، فكان أن عمدوا إلى تبويبها وترتيبها إتماماً لفائدة الكتاب، وتسهيلاً على قارئيه الراغبين في الحصول على المعلومة في وقت قصير، ومن ذلك كتاب (المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم) لأبي البقاء العكبري.

4 – الجمع بين كتابين أوأكثر:

إن تعدّد الكتب القديمة ذات الفائدة العظيمة، وتكاملها في عرض المعارف والفوائد، دفع بعض العلماء إلى اختصار كتابين في كتاب واحد، وفق منهجية تنتخب أهم ما في هذين الكتابين من فوائد، وتلمّ شملها بعضها إلى بعض في مؤلف واحد، ومن ذلك ما صنعه ابن الضائع الإشبيلي (ت 680 هـ)، إذ شرح كتاب سيبويه جامعاً فيه بين شرحي السيرافي وابن خروف باختصار حسن [39]. وهناك من تعدّى ذلك إلى كتب عدة، كما فعل البيضاوي في (أنوار التنزيل)، فقد لخّص من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلّق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات [40]. وفي علوم الحديث نذكر كتاب (الخلاصة في أصول الحديث) لشرف الدين حسن بن محمد الطيبي المتوفّى سنة (743 هـ)، وقد ذكر مؤلفه " أنه لخصه من علوم الحديث لابن الصلاح، ومختصر النووي، والقاضي ابن جماعة، وأضاف إلى ذلك زيادات مهمة من جامع الأصول وغيره " [41]. وفي السير نذكر كتاب (خلاصة سير سيد البشر) لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفّى سنة (694 هـ)، " وهو مختصر مرتب على أربعة وعشرين فصلاً جمع من اثني عشر مؤلّفاً ما بين كبير انتخبه وصغير ألحقه " [42].

5 – اختصار الكتب وتهذيبها على يد مؤلفيها الأصليين:

عمد بعض مؤلفي الكتب الأصلية إلى الاضطلاع بتلخيص كتبهم أو تهذيبها، وذلك انطلاقاً من إلمامهم بأهمّ ما فيها من معارف، وسعياً وراء تكريس فائدتها لدى القراء. ومن أشهر كتب المختصرات التي نهض بها مؤلف كتاب أصلي ؛ كتاب (مروج الذهب) في التاريخ لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفّى سنة (346 هـ)، وقد ذكر فيه أنه صنّف أولاً كتاباً كبيراً سمّاه (أخبار الزمان)، ثم اختصره وسمّاه (الأوسط)، ثم أراد إجمال ما بسطه

---

[37] للتوسع انظر : نفسه، ص 37 – 42 .

[38] كشف الظنون، ج 1، ص 187 .

[39] انظر : بغية الوعاة، السيوطي، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 2، ص 204 .

[40] انظر : كشف الظنون، ج 1، ص 187 .

[41] نفسه، ص 720 .

[42] نفسه، ص 718 .

واختصار ما وسطه في هذا الكتاب، وقال: نودعه لمع ما في ذينك الكتابين ممّا ضمناهما، وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الأمم. وقد كان المسعودي حريصاً على اختصار كتابيه بنفسه، حتى إنه يحذر من تحريف كتابه الأخير أو اختصاره أو انتخابه، داعياً على من يقترف هذا الفعل بالبلاء والغضب من عند الله [43].

ولدينا أيضاً كتاب (التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير) في أصول الحديث للشيخ الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النوويّ المتوفّى سنة (676 هـ)، وقد لخّص فيه كتابه (الإرشاد) الذي اختصره من كتاب (علوم الحديث) لابن الصّلاح، فصار زبدة خلاصته [44].

كما ألّف الشّيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك الطائي الجياني النحويّ المتوفّى سنة (672 هـ) كتاباً في النحو سمّاه (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، وقد لخّصه من مجموعته المسمّاة (الفوائد)، وهو كتاب جامع لمسائل النحو بشكل لا يفوت ذكر مسألة من مسائله وقواعده [45].

ومن ذلك أيضاً كتاب (البحر المحيط في التفسير) للشيخ أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي المتوفّى سنة (745 هـ)، وهو كتاب عظيم في مجلّدات، ثم اختصره في مجلّدين وسمّاه (النّهر المادّ من البحر) [46].

إنّ اختلاف مناهج المختصرات وأساليب تهذيبها شكّل قاعدة معرفيّة غنيّة رفدت الكتب الأصليّة بمعارف متمّمة، فضلاً عن تسهيل تداول هذه المعارف، والتركيز على زبدتها.

رابعاً– مواقف العلماء من حركة التهذيب والاختصار:

تباينت مواقف العلماء بين رافض لمبدأ الاختصار، ومؤيّد له، ومن المواقف المتشدّدة في رفض المختصرات ونبذها موقف المقري الجد الذي ورد في كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) للمقري التلمساني؛ إذ يقول مؤلّف الكتاب في معرض تعداد فوائد المقري الجد: " ثم قال مولاي الجد رحمه الله تعالى: ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسبوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها، وقد نبّه عبد الحقّ في (تعقيب التهذيب) على ما يمنع من ذلك لو كان مَن يسمع... " [47].

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته الشهيرة هذا الضرب من التأليف؛ إذ يعقد فصلاً في مقدمته بعنوان (في أنَّ كثرة المختصرات الموضوعة في العلوم مخِلّة بالتعليم)، يقول ابن خلدون في هذا الفصل: " ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يُولّعُون بها ويُدوِّنُون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصْر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشْو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، فصار ذلك مُخِلاً بالبلاغة وعسيراً على الحفظ. وربما عمدوا إلى الكتب الأمّهات المطوَّلة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريباً للحفظ كما فعل ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه، وابن مالك في العربية، والخُونَجِي في المنطق، وأمثالهم. وهو فساد في التعليم، وفيه إخلال بالتحصيل.

وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد, وهو من سوء التعليم كما سيأتي, ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلّم بتتبُّع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم لتزاحُم المعاني عليها

---

[43] انظر : نفسه، ج 2، ص 1658 – 1659 .

[44] انظر : نفسه، ج 1، ص 465 .

[45] انظر : نفسه، ج 1، ص 405 .

[46] انظر : نفسه، ج 1، ص 226 .

[47] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه : الدكتور إحسان عباس، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، 1988 م، ص 276 .

واستخراج المسائل من بينها؛ لأن ألفاظ المختصرات نجدها لذلك صعبة عويصة، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت. ثم بعد ذلك كله، فالمَلَكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تمَّ على سداده ولم تعقبه آفة، فهي مَلَكة قاصرة عن المَلَكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطوّلة؛ لكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإطالة المفيدين لحصول الملكة التامة. وإذا اقتصر عن التكرار قصرت الملكة بقلّته، كشأن هذه الموضوعات المختصرة. فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلّمين، فأركبوهم صعباً بقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها " [48].

إن ابن خلدون في كلامه هذا لا يميز بين جيد المختصرات و رديئه، كما أنّه يطعن في قدرة هذه المختصرات على التعليم دون وجه حق، فصحيح أنّ المختصرات لا توازي الكتب الأصول في مقدار الجرعة المعرفية القارّة في بطون تلك الأصول، لكنها تفيد المتعلّم من ناحية تحصيل المعارف في وقت قصير، فضلاً عن تهذيب بعض المختصرات لأخطاء وعثرات الأصول، وتبويبها وترتيبها على نحو يسهّل حصول الفائدة، وغير ذلك من إيجابيات الاختصار, وقد تنبّه ابن خلدون إلى أهمية الاختصار في أنواع محدّدة من التأليف, وسيأتي ذكر ذلك في الحديث عن إيجابيات الاختصار لاحقاً.

وقد ذهب بعض النقاد المحدثين مذهب ابن خلدون في تعميم ذمّ المختصرات، وإن اختلفت تعليلاتهم؛ إذ يرى بعض النقاد أن استشراء ظاهرة الاختصار في التراث العربي هو خلل حضاري فكري، ومظهر من مظاهر انحطاط الأمة العربية الإسلامية؛ إذ يتعطل ضمن هذه الظاهرة الاجتهاد لصالح الجمود، ويتقهقر الإبداع أمام التقليد والاجترار، وقد تبنى هذا الرأي الباحث المغربي محمد بوزيان بنعلي، الذي يقول في سياق دعم رأيه السابق: " اشتغل العلماء باختصار الأمهات منذ القرن الرابع الهجري، إلّا أنّ ذلك لم ينسهم أبداً مسؤولية المحافظة على أصالة الثقافة العربية الإسلامية وقوّتها، والتحليق بها بعيداً عبر تحريك دواليب الاجتهاد، وتفعيل آلياته باستمرار، حتى إذا أذن القرن الخامس بالانصرام دخلت الأمة من حيث الإنتاج العلمي والفكري والثقافي في الاختصارات والشروح لما ابتكر من العلوم والفنون في الأزمنة السابقة، حيث شهد معظم ذلك الإنتاج ركوداً في وتيرة توالي دفعات الابتكار الحيّة مع نهايات عصر التدوين، وكادت تتعطّل الخطا بدءاً من أواخر القرن السابع الهجريّ، وأضحت الأمّة بفعل تعاظم الخلل وتفاقم الورم على موعد لم تعهده من الانحطاط، حيث كادت في جوانبها النظرية تكتفي بالتقليد، وترديد مختارات من إبداعات السلف، حاصرة جهود ابتكار رجالاتها في صياغة المتون، وقاصرة طاقات علمائها ومفكّريها على اختصار المدوّن " [49].

يوغل هذا المقبوس الطويل نسبياً في ذم المختصرات معتمداً سياسة التعميم، وهذا ما يجعلنا نقف منه موقفاً متأنياً، على الرغم من اشتمال هذا الرأي على جوانب قد لا نختلف على صوابيّتها, فالبحث لا ينفي تراجع حركة المؤلّفات المبتكرة بُعيد القرن الرابع الهجري، لكن ذلك لا يعني وسم كتب المختصرات القائمة على تهذيب الأصول بميسم التخلّف والجمود والانحطاط، ولا سيما تلك الكتب التي أُلّفت حتى نهاية القرن السابع الهجري، وهذا ما لحظه جملة من العلماء العرب عبر التاريخ.

---

[48] المقدمة، للعلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، حققها و قدم لها و علق عليها : عبد السلام الشدادي، الدار البيضاء، ط 1، 2005 م، ج 3، ص 211 – 212 .

[49] ظاهرة المختصرات في التراث العربي، محمد بوزيان بنعلي، مجلة آفاق الثقافة و التراث، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد 49، إبريل (نيسان) 2005 م، ص 162 .

فإزاء مثل تلك المواقف الرافضة للمختصرات تنهض جملة من المواقف المؤيّدة التي تُعظّم من شأن هذا الضّرب من التأليف، وقد تجلّى ذلك في الكتب القديمة عبر إسباغ عبارات المديح والثناء على بعض الكتب المختصرة، ومن ذلك ما جاء في (بغية الوعاة) للسيوطي في أثناء حديثه عن مصنفات أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي؛ إذ يقول: " وله من التصانيف: البحر المحيط في التفسير، النهر مختصره، إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، مطوّل الارتشاف ومختصره مجلدان، **ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين** ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال..."[50]. وكذلك ما جاء في (كشف الظنون) لحاجي خليفة في معرض حديثه عن كتاب (سلاح المؤمن) لتقي الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن علي بن همام المصري الشافعي الشهير بالغرناطي المتوفّى سنة (745 هـ)؛ إذ يقول: " وقد اختصره الذهبيّ محمد بن أحمد الحافظ المتوفّى سنة (748 هـ)، وشهاب الدين الغرناطي، **وهو مفيد مستوف لمقاصده**" [51]. وجاء في (كشف الظنون) أيضاً أن محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن عربي المتوفّى سنة (546 هـ) قد اختصر كتاب (المحلّى) لأبي محمد ابن حزم علي الظاهري المتوفّى سنة (456 هـ)، " وسمّاه كتاب المعلّى في مختصر المحلّى، **وهو من أحسن المختصرات مع الإحاطة على مذاهب السلف** " [52]. وسوى ذلك من عبارات الاستحسان التي يكيلها خليفة لطائفة من كتب المختصرات، كقوله في مختصر البيضاوي في التفسير (أنوار التنزيل) إنّه " كتاب عظيم الشان، غنيّ عن البيان " [53]، وقوله في اختصار المقري الحجازي لكتاب (ضياء القلوب في التفسير) لأبي الفتح الرازي إنّه اختصار حسن [54]، وغير ذلك. وجاء في كتاب (نفح الطيب) أنّ عريب بن سعد القرطبي له كتاب (اختصار تاريخ الطبري)، وأنه قد سعد باغتباط الناس به [55]، فضلاً عن علماء كثر قرّظوا المختصرات و أوفوها حقّها من التقدير[56].

ويستدرك ابن خلدون في مواضع مختلفة من كتابه (المقدّمة) بالقول إنّ المختصرات مستحسنة في مجالات معينة، محدداً أسباب ذلك؛ إذ يقرّ بالتطويل الحاصل في بعض العلوم، والأثر السلبي لهذا التطويل، كما أنه يقر بتشعب بعض العلوم، واختلاف المؤلفين في تصنيف مفرداتها، ومن ذلك كلامه على علم النحو، إذ يقول:"... ثم طال الكلام في هذه الصناعة، وحدَث الخلافُ بين أهلها في الكوفة والبصرة، المصْرَين القديمين للعرب. وكثرت الأدلة والحِجاج بينهم، وتباينت الطرق في التعليم، وكثر الاختلاف في إعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القواعد، **وطال ذلك على المتعلّمين، وجاء المتأخّرون بمذاهبهم في الاختصار، فاختصروا كثيراً من ذلك الطول، مع استيعابهم لجميع ما نقل**، كما فعل الزمخشري في المفصل، وابن الحاجب في المقدم له. وربما ينظمون ذلك نظماً مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصغرى " [57]. وهذا الكلام يؤكد الفائدة المتحصّلة من اختصار المطولات، وتوضيح الاختلافات.

---

[50] بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، السيوطي، ج 1، ص 282 .

[51] كشف الظنون، ج 2، ص 995 .

[52] نفسه، ج 2، ص 1617 .

[53] نفسه، ج 1، ص 187 .

[54] انظر : نفسه، ج 2، ص 1091 .

[55] انظر : نفح الطيب، المجلد الثالث، ص 182 .

[56] للتوسع في مواقف العلماء المؤيدين للمختصرات انظر : ظاهرة المختصرات في التراث العربي، محمد بوزيان بنعلي، ص 169 .

[57] المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ج 3، ص 238 – 239 .

ومن هنا يستحسن ابن خلدون اختصار بعض كتب النّحو، وهذا الاستحسان يخالف ما ذهب إليه من طعن في قدرة المختصرات على التعليم، يقول ابن خلدون في معرض حديثه عن كتاب (المغني في الإعراب) لابن هشام: " ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين بن هشام، من علمائها، استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصّلة، وتكلم على الحروف والمفردات والجمل، **وحذف ما في الصناعة من المتكرّر في أكثر أبوابها**، وسمّاه بالمغني في الإعراب. وأشار إلى نُكت إعراب القرآن كلّها، **وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها**. فوقفنا منه على علم جمّ يشهد بعلوّ قدره في هذه الصناعة، و وفور بضاعته منها " [58]. وهكذا فإنّ ابن خلدون يستحسن أمرين في مختصر ابن هشام: الأول هو حذف المكرر، والثاني هو تبويب القواعد. ممّا يدل على فائدة عظيمة وخدمة جليلة يسديها ذلك المختصر لمرتادي علم النّحو.

ويتكرّر استحسان ابن خلدون لمختصرات بقيّة العلوم في كتابه، ومن ذلك إشاراته المتعدّدة إلى كتب لغويّة مختصرة تضاهي الأصول في تحصيل الفائدة، وتيسّر العلم للمتعلّمين؛ إذ يقول ابن خلدون في معرض حديثه عن (كتاب العين) للفراهيدي: " وجاء أبوبكر الزبيدي... فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب، وحذف منه المهمَل كله وكثيراً من شواهد المستعمَل، **ولخّصه للحفظ أحسن تلخيص** " [59]. ويقول أيضاً خلال حديثه عن مختصرات علم اللّغة: " وأمّا المختصرات الموجودة في هذا الفنّ المخصوصة بالمتداوَل من اللغة الكثير الاستعمال **تسهيلاً لحفظها على الطالب**، فكثيرة، مثل الألفاظ لابن السكّيت، والفصيح لثعلب، وغيرهما " [60]. وفي ميدان علم البيان، يستعرض ابن خلدون تلاحق مسائل هذا الفنّ واحدة بعد أخرى، " إلى أن **مخض السكاكي زبدته، وهذّب مسائله، ورتّب أبوابه**... وألّف كتابه المسمّى بالمفتاح " [61]، وفي هذا القول تلميح إلى فضل السكاكي في تلخيص علم البيان وتهذيبه وترتيبه على نحو يقرّبه من فهم الطالب واستيعابه. وهكذا نرى أنّ ابن خلدون يستحسن المختصرات إذا ما التزمت بكونها وسيلة تعليميّة منفتحة على الثقافة بمفهومها الواسع، ويرفض منها ما يُخلّ بأصول العلم ومقاصده.

لقد أسهمت حركة التهذيب والاختصار في رفد التراث المعرفي العربي بمؤلّفات قيّمة، تكاملت مع المؤلفات الأصلية في تشكيل مشهد ثقافيّ يرقى بالحضارة العربية الإسلامية إلى مستويات معرفية لا يختلف اثنان حول عظمتها، ومن هنا فإنّ الاحتفاء بحركة التهذيب والاختصار، وإبراز فوائدها، يبدو مسوّغاً في ضوء أهميّتها وثرائها.

خامساً– قراءة نقدية في مختصرات كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت

يعد كتاب (إصلاح المنطق) لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت من أشهر الكتب اللغوية التي ذاع صيتها عبر العصور، فمؤلّفه علم من أعلام العربيّة الأفذاذ، رجّحت كتب التراجم وفاته في سنة (244 هـ) [62]، وقد ذكر ابن خلكان في كتابه (وفيّات الأعيان) جملة من الأقوال التي تقرّظ الكتاب، وتؤكّد مكانة ابن السكّيت العلميّة المتميّزة، ومن ذلك قول المبرّد: " ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب يعقوب بن السكيت في

[58] نفسه، ج 3، ص 239 .

[59] نفسه، ج 3، ص 241 .

[60] نفسه، ج 3، ص 243 .

[61] نفسه، ج 3، ص 246 .

[62] انظر : بغية الوعاة، السيوطي، ج 2، ص 349 .

المنطق " [63]، وقول ابن خلّكان نفسه: " قال بعض العلماء: ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل إصلاح المنطق. ولا شكّ أنّه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة، ولا نعرف في حجمه مثله في بابه " [64].

وقد أراد ابن السكيت في كتابه هذا أن يعالج داء كان قد استشرى في لغة العرب والمستعربة، وهو داء اللحن والخطأ في الكلام. فعمد إلى أن يؤلّف كتابه ويضمنه أبواباً يمكن بها ضبط جمهرة من لغة العرب، وذلك بذكر الألفاظ المتّفقة في الوزن الواحد مع اختلاف المعنى، أو المختلفة فيه مع اتّفاق المعنى، وما فيه لغتان أو أكثر، وما يعلّ ويصحح، وما يهمز وما لا يهمز، وما يشدّد، وما تغلط فيه العامّة [65].

وتبعاً لأهمية الكتاب، فقد تناوله العلماء بالشرح والتهذيب والاختصار، وفي ذلك يقول حاجي خليفة في (كشف الظنون): " وهو من الكتب المختصرة الممتعة في الأدب؛ ولذلك تلاعب الأدباء بأنواع من التصرّفات فيه، **فشرحه** أبو العبّاس أحمد بن محمد المريسي المتوفّى في حدود سنة (460 هـ)، **وزاد** ألفاظاً في الغريب، وأبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ الهرويّ المتوفّى سنة (370 هـ)، وشرح أبياته أبو محمد يوسف بن الحسن بن السيرافي النحوي المتوفى سنة (385 هـ)، و**رتّبه** الشيخ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفّى سنة (616 هـ) على الحروف، و**هذّبه** أبوعلي الحسن بن المظفر النيسابوري الضرير المتوفّى سنة (442 هـ)، والشيخ أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي المتوفّى سنة (502 هـ) وسمّاه التهذيب، وعلى تهذيب الخطيب رد لأبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب النحوي المتوفى سنة (567 هـ)، وعلى الأصل ردٌّ لأبي نعيم عليّ بن حمزة البصريّ النحويّ المتوفّى سنة (375 هـ)، و**لخّصه** أيضاً أبو المكارم علي بن محمد النحويّ المتوفّى سنة (561 هـ)، وناصر الدين عبد السّيد المطرزيّ المتوفّى سنة (610 هـ)... " [66]، وهذا كلّه ثراء معرفيّ يغني الكتاب الأصلي، ويعزّز من فائدته.

ولعلّ من أهمّ أسباب هذا الكمّ من الكتب التي تناولت الكتاب بالشرح والتهذيب والاختصار – بالإضافة إلى أهميته – صعوبة الرجوع إليه والإفادة منه، وذلك لاضطراب أبوابه، وإكثاره من الشواهد، والتكرار الذي فيه، فلجأ كثير ممّن اهتمّوا به إلى تذليل تلك الصعاب، كلٌّ حسب تصوّره ومعرفته، وسيقف البحث عند ثلاثة من هذه المختصرات مبيّناً مناهجها وأساليبها، وهي:

-شرح أبيات إصلاح المنطق لابن السيرافي:

مؤلّف الكتاب هو أبو محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، النحوي اللغوي الأخباري، ولد في بغداد سنة (330 هـ)، وفيها تُوفّي سنة (385 هـ)، وقد كان أبوه عالماً جليلاً شهد له كبار العلماء في عصره، وعلى الرغم من ذلك فإن سبب تأليف ابن السيرافي كتابه هذا هو غلط أبيه العالم في قراءة بيت شعري ورد في الكتاب الأصلي، وقد مرّ معنا ذلك في سياق البحث، وترك ابن السيرافي للمكتبة العربية عدداً من المؤلّفات، معظمها في شرح الشواهد، وبعضها في النحو، وما يهمّنا في هذا المجال هو كتابه (شرح أبيات إصلاح المنطق).

يتبع ابن السيرافي في كتابه هذا منهجاً يقوم على تفسير الشواهد الشعرية الواردة في كتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت، لكنه لا يستوفي جميع أبواب الكتاب الأصلي، بل يهمل ما لا شاهد فيه، كما يسقط منه بعض الشواهد

---

[63] وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 6، ص 396 .

[64] نفسه، ص 400 .

[65] انظر : إصلاح المنطق، ابن السكيت، شرح و تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، القاهرة، مقدمة المحقق عبد السلام هارون، ص 12 .

[66] كشف الظنون، ج 1، ص 108 .

أو يزيد، تبعاً للنسخ التي اعتمدها، كما يهمل الأبيات التي لا تحتاج إلى شرح، وقد أشار في مقدّمة كتابه إلى ذلك، فقال: " تأملّت – أرشدك الله – كتاب إصلاح المنطق فرأيت الشواهد من الشعر فيه مختلفة ؛ تزيد في نسخة وتنقص في أخرى. وأنا بمشيئة الله أُفسّر الأبيات على أكثر ما أجد في النسخ " [67]، ثم يقول: " والتفسير يأتي على ما يمكن تفسيره من ذلك " [68].

وأما طريقته في الشرح، فهي الطريقة المتبعة في عصره ؛ من اعتماد اللغة والنحو، وتناول جزئيّات البيت، مع بيان مناسبته، وقائله، وروايته، وموضعه من أبيات أخرى إن وجدت. ففي اللغة يفسّر الألفاظ من خلال مكانها في البيت، وبشيء من الدّقة والاستقصاء، وقد يعلّق على ذلك بالأمثلة والشواهد، ويقدّم المعنى بشكل مجمل، وربما عاد إليه حين يتطرق إلى شرح لفظة ثانية، فتحسُّ شيئاً من الاضطراب والتكرار[69]، كما تحسُّ شيئاً من الاستطراد جرّاء ضرب الأمثلة والإتيان بالشواهد المؤيّدة، وكثيراً ما كان يستطرد فيتحدّث عن مسألة نحويّة عرضت له خلال الشرح، فيذهب يستقصي ما يتعلق بها من أوجه وخلافات, و من ذلك استطراده بعد شرح بيت شعري ينتهي بجملة (يَتَقِي بأَثْرِ), فيقول: " و يقال : اتَّقَى يتَّقِي , على وزن افْتَعَلَ يَفْتَعِلُ , وفاء الفعل منه واوٌ قُلبت تاءً, والأصل : اِوْتَقَى, وهو مثل (اتَّعَدَ) من الوعد "[70], و لا يقف عند ذلك, فيتابع قائلاً : " وقد خفّفت العرب (اتَّقَى يتَّقِي) , فقالوا : تَقَى يَتَقِي؛ حذفوا ألف الوصل من الماضي, و التاء التي هي فاء الفعل, وهي ساكنة, فبقي : تَقَى يَتَقِي ؛ و ليس يطّرد هذا التخفيف في جميع الباب, و إنما جاء في (اتَّقَى, واتَّجَهَ, واتَّخَذَ, واتَّسَعَ) , قالوا : تَقَى, وتَجَهَ, وتَخَذَ, وتَسَعَ "[71] , و بذلك يكون قد سوّغ التخفيف في البيت الشعري , لكنه يستطرد بعد ذلك أيضاً في الحديث عن الأمر من (يَتَّقِي) و (يَتَقِي) , مورداً الشواهد الشعرية على كلٍّ منهما, و يزيد عليها شواهد أخرى جاء فيها هذا الفعل بصيغ مختلفة , شارحاً إيّاها[72] .

ويحرص ابن السيرافي على عدم تكرار ما شرحه ابن السكيت من أبيات في إصلاح المنطق، ويحيل عليه في ذلك، ولكنّه قد يضيف بعض شرحٍ إذا أحسَّ نقصاً عنده، وقد يسوقه الحديث عن مناسبة بعض الأبيات إلى قصة – قد تكون مطوّلة – فلا يتردّد في ذكرها مفصّلة، كفعله في خبر المرقّش مع بنت عجلان, و هو خبرٌ طويل يسرده ابن السيرافي في عدة صفحات بعد أن يورد بيتاً للمرقّش يتّصل شرحه بمعرفة مناسبته[73] .

وهو, بعد, لم يأتِ بشواهد من الحديث الشريف، عدا القليل منها، ولم يكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم، كما أنه يعمد خلال شرحه إلى مهاجمة مخالفيه بلهجة قاسية تنم على سرعة غضبه, و من ذلك إنكاره على ابن السكيت ما جاء به في سياق شرحه لبيت شعري صدره (امتلأ الحوض وقال قَطْنِي) , إذ يقول ابن السكيت : " قَطْنُ : في معنى حَسْبُ "[74] , فيستدرك ابن السيرافي عليه ذلك متهماً إياه بالوهم, فيقول : " وقد جعل يعقوب النّون في (قطني)

---

[67] شرح أبيات إصلاح المنطق، تأليف : أبي محمد يوسف بن الحسن السيرافي النحوي، تحقيق : ياسين محمد السواس، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، و الدار المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1992، ص 49 .

[68] نفسه، ص 50 .

[69] انظر : نفسه، مقدمة المحقق ياسين محمد السواس، ص 28 – 30 .

[70] نفسه, ص 84 .

[71] نفسه, ص 84 – 85 .

[72] انظر : نفسه, ص 85 – 86 .

[73] انظر : نفسه, ص 379 – 382 .

[74] نفسه, ص 175 .

من نفس الكلمة, وليست كذلك , وإنما الكلمة (قَطْ) بغير نونٍ , ودخلت النون في الإضافة ليَسْلَم سكون الطاء , كما دخلت في (مِنِّي) و (عَنِّي) و (قَدْني) , فتوهّم أنَّ النون من نفس الكلمة, و ياء الإضافة يُكْسَرُ ما قبلها , فإذا أضفتَ قَطْ, و قَدْ , و مِنْ , و عَنْ , و هنَّ مبنيّاتٌ على السكون , احتجتَ إلى إدخال حرفٍ تقع عليه الكسرة قبل ياء الإضافة , فأدخلتَ النون و كسرتْهَا , و بقي الساكن على حاله "[75] . ويُعدُّ هذا من الشواهد على استدراكات ابن السيرافي على مؤلّف الكتاب الأصلي , دون أن تخلو هذه الاستدراكات من تعليل أو شرح.

وهكذا فإن منهج ابن السيرافي في كتابه قائم على الزيادة المكمّلة لفوائد الكتاب، وهذه الزّيادة تختصّ بالأبيات وشرحها ، دون التعرّض لبقية المسائل الصرفية أو اللغويّة إلّا ما اتّصل منها ببيت شعريّ وارد في متن الكتاب الأصليّ. وقد استفاد من هذا الشرح علماء آخرون تصدّوا لتهذيب كتاب (إصلاح المنطق) واختصاره، ولاسيما الخطيب التبريزي, وأبو البقاء العكبري.

-تهذيب إصلاح المنطق للخطيب التبريزي:

يعدّ الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي (421 – 502 هـ) أحد الأئمة في النّحو واللّغة والأدب، أخذ العلم عن أبي العلاء المعرّي, وعبد القاهر الجرجاني, وابن الدهان اللغوي, وغيرهم، له من الشروحات: شرح القصائد العشر، وشرح اللمع لابن جني، وثلاثة شروح على الحماسة لأبي تمام، وشرح سقط الزند، وشرح المفضليات [76]، كما له كتاب (تهذيب إصلاح المنطق) الذي تناول فيه كتاب ابن السكّيت وفق منهجية تجمع بين الشرح والحذف والزيادة.

فكتاب الخطيب التبريزي هذا هو شرح لكتاب ابن السكّيت، لكنه يجمع إلى الشرح أعمالاً أخرى، كحذف ما أمكن من التّكرار، وتقويم ما اختل من الرواية في النثر والشعر، والتصرف في نسق بعض المواد والألفاظ، وتفسير الشواهد الشعرية والنثرية، واستدراك بعض الألفاظ والعبارات على ابن السكّيت؛ ولذلك لم يُسمِّ الخطيب التبريزي كتابه هذا شرحاً، وإنّما سمّاه (تهذيب إصلاح المنطق) [77].

وقد أجمل الخطيب التبريزي منهجه في الكتاب في (خطبة الكتاب) حيث يقول: "... فإنّي لما رأيت ميل أكثر الناس إلى كتاب (إصلاح المنطق) لأبي يوسف، يعقوب بن إسحاق السكيت، دون غيره من كتب اللغة، لقلّة حجمه، مع كثرة الانتفاع به، والاستفادة منه، ولأنّ أكثر ما يتضمّنه اللغةُ المستعملة، التي لا بدَّ من معرفتها، والاشتغال بحفظها، ورأيت فيه تكراراً كثيراً، في مواضع كثيرة، طال به الكتاب،، وكان أبو العلاء المعرّي، والشيوخ الذين قرأت عليهم هذا الكتاب، يكرهون منه التّكرار الذي فيه، ورأيت الأبيات التي استشهد بها في بعضها خلل، وأكثرها يحتاج إلى التفسير، استعنت بالله تعالى على كَتْبِه، وحذف المكرّر، وتبيين ما يُشكل في بعض المواضع منه، وإثبات ما يُحتاج إليه من شرح الأبيات، على ما فسّره أبو محمد، يوسف بن الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، ليسهل حفظه ويستغني النّاظر فيه، والقارئ منه، عن كتاب آخر، يرجع إليه، في معنى بيت يشكل عليه... " [78].

لقد بيّن الخطيب التبريزي في هذه الخطبة أسباب التأليف وهدفه، كما بين منهجه القائم على الحذف بالدّرجة الأولى، وإن كان الكتاب لا يخلو من زيادات، و لاسيما في شرح الأبيات التي لا ينكر المؤلّف اعتماده على ابن

---

[75] نفسه, ص 175

[76] انظر : – معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ص 2823 – 1825 .

– بغية الوعاة، السيوطي، ج 2، ص 338 .

[77] تهذيب إصلاح المنطق، الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983، مقدمة المحقق الدكتور فخر الدين قباوة، ص 6 .

[78] نفسه، ص 22 – 23 .

السيرافي في إثبات معظمها, و لعلّ هذا مما يُؤخذ على الخطيب التبريزي , فهو يُهمل ما أهمله ابن السيرافي من شرح, ولا يتعرض له و إن كان بحاجة إلى بيان و توضيح, و قلّما يُنقص من شرحه أو يخالفه, و شواهد ذلك في الكتاب كثيرة[79] .

وقد بالغ الخطيب التبريزي في اعتماده على ابن السيرافي, إذ لم يكتفِ بنقل شروحه, بل تعدّى ذلك إلى رصد أخطاء ابن السكيت في رواية الشعر نقلاً عن ابن السيرافي, و من ذلك ما أثبته في باب الفِعَالة و الفُعَالة , حيث يقول: " الفِتاحةُ و الفُتاحة , من المُفاتحة , و هي المُحاكمة , و أنشد :

ألا أبلِغ بني عمرو رسولاً فإنّي عن فُتاحتِكُم غنيُّ

قال أبو محمد : وجدتُ هذا البيت للشويعر الجعفيّ على خلاف ما رواه يعقوب . و هو :

بلّغ بني عُصُمٍ فإنّ ي عن فُتاحتِكُم غنيُّ

لا أُسرتي قلّت ولا خالي لخالكَ مَقْتَويُّ

البيت على رواية يعقوب من الضرب الأول من الوافر, و على الرواية الأخرى من الضرب السادس من الكامل , و هو الذي يُقال له المُرقّل "[80] . فهنا يشير الخطيب التبريزي إلى ابن السيرافي صراحة (قال أبو محمد ...), وينقل عنه التصويب والتعليق دون أن يزيد عليه شيئاً[81] . وفي موضع آخر ينقل عن ابن السيرافي تصويباً لنسبة بيت إلى شاعر دون أن يشير إليه, ومن ذلك : " ... وقالت امرأة من العرب تُرقّص بُنيّاً لها :

أَشبِهْ أبا أُمّكَ أو أَشبِهْ عَمَلْ و لا تكونَنَّ كَـهِلَّوفٍ وَكَلْ

يُصبحُ في مضجعهِ قَدِ انجدلْ و ارقَ لإلى الخيراتِ زَنْئاً في الجبلْ

ذكر يعقوب أنّه لامرأة , و هو لقيس بن عاصم المنقريّ ... "[82] . و كان ابن السيرافي قد صوّب ذلك لابن السكيت في كتابه , و أتبعه برواية مناسبة الأبيات أيضاً [83] .

و في مواضع أخرى من الكتاب ؛ يعمد الخطيب التبريزي إلى النقل عن ابن السيرافي دون الإشارة إلى أخطاء ابن السكيت, فيُثبت الأبيات الصحيحة كما وردت عند ابن السيرافي , و يغفل استدراك ابن السيرافي على ابن السكيت روايتَه المنقوصة للأبيات , كما يغفل دليل ابن السيرافي على صحة روايته , و لا يعلّق على ذلك , و قد ورد ذلك في غير موضع من الكتاب[84] .

لقد هذّب الخطيب التبريزي كتاب إصلاح المنطق من الأخطاء, وزاد عليه في بعض الأحيان , لكنه في ذلك لم يخرج عن ابن السيرافي في كتابه إلا قليلاً , أمّا الحذف فقد طال التكرار والاستطراد , وأمّا التقديم والتأخير في ترتيب موادّ الكتاب فهو قليل إذا ما قورن بكتاب أبي البقاء العكبريّ.

---

[79] انظر على سبيل المثال : نفسه, ص 111 , 131 , 334 ,566 , 717 ...

[80] نفسه, ص 288 – 289 .

[81] انظر : شرح أبيات إصلاح المنطق , ابن السيرافي , ص 282 .

[82] تهذيب إصلاح المنطق , الخطيب التبريزي , ص 375 .

[83] انظر : شرح أبيات إصلاح المنطق , ابن السيرافي , ص 323 .

[84] انظر على سبيل المثال : تهذيب إصلاح المنطق , ص 260 . و شرح أبيات إصلاح المنطق , ص 270 . و انظر أيضاً : تهذيب إصلاح المنطق , ص 431 . و شرح أبيات إصلاح المنطق , ص 349 .

-المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم لأبي البقاء العكبري:

ولد أبو البقاء العكبري 538, وتوفى 616هـ، في بغداد، وتلقى علومه فيها على يد كبار علماء عصره، وقد ترك عدداً كبيراً من المصنّفات في فنون شتّى، من نحو, ولغة, وفقه, وغير ذلك، تدلّ على سعة علمه ومعرفته، ومنها: الإشارة في النحو، وإعراب القرآن، وتفسير القرآن، والتهذيب في النحو، وشرح أبيات سيبويه، واللباب في علل البناء والإعراب، وغير ذلك [85]، ومنها كتابه الذي نعرض له (المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم).

تحدّث العكبري في خطبة كتابه هذا عن الدوافع التي كانت وراء تصنيف كتابه، فيقول بعد الحديث عن أهمية علوم اللغة: " والكتب الموضوعة فيها متباينة المقادير، مختلفة الأنحاء في الوضع والتحرير، ومن أوسطها حجماً، وأوثق مصنّفيها رواية وعلماً، كتاب (إصلاح المنطق) تأليف أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكّيت رحمه الله، إلّا أنّه مع توسّط حجمه وغزارة علمه، متوعّرُ المسلك مستصعبُ المَدرَك، لأشياء: منها التكرير المحض المملّ لحفّاظه، والترتيبُ الموجبُ تفرّقَ ألفاظه. ومنها إهمال كثيرٍ من لغته عن التفسير، وذكر اللّفظة مع غير النّظير، إلى غير ذلك...، وهذا مما يبعد نيل الغرض منه، ويدعو إلى التثبّط عنه، مع أنّه إمام يُعتمد عليه، وأصل يُستند إليه. ولم أزل لفرط شغفي به، وحُسْن اعتقادي فيه، أُحبُّ أن يكون على أسلوب يُقرّبُ منه تناولَ المطلوب " [86].

تكاد تكون أسباب تأليف أبي البقاء كتابه, هي نفسها أسباب من سبقه إلى شرح الكتاب أو تلخيصه أو تهذيبه، إلا أنّ منهجه يختلف عن كلّ ما سبقه؛ إذ يعمد إلى ترتيب كتاب ابن السكّيت على حروف المعجم ليسهل الانتفاع به، والعودة إليه، يقول أبو البقاء في خطبة الكتاب موضحاً منهجه: "... فرأيت أن أجمع شوارده ؛ لتزدوج مفترقاتُ فرائده، فرتّبته على حروف المعجم، وسوّيتُ في وضوح معانيه بين الفصيح والأعجم، واجتهدتُ في تلخيص العبارة، واكتفيتُ عن الإسهاب بالإشارة، واستظهرت بكثرة الأصول الموثوق بها، فنقلتُ هذا الكتاب منها، واعتمدتُ على أتمّها، ولم أزِدْ على ما فيه غيرَ إيضاح خافيه، وتسميةِ شاعر أغفلَه، وإتمام بيت حَذَفَ آخرَه أو أوّلَه، وضمِّ بيت إلى بيت ؛ به يُعرف معناه ويُعلم به ما قصده الشّاعر و انتحاه، وأتيتُ به على طريقة المُجْمَل، إلّا أنّي ذكرتُ مضاعف كلّ حرفٍ في أوّل بابه، وأخّرتُ ذكر المطابق والرباعي والخماسي إلى آخر الكتاب، فذكرتُه هناك متوالياً مرتّباً على الحروف أيضاً ؛ ليقرُبَ مأخذه وينقاد مستصعبه"[87].

لقد اتبع أبو البقاء العكبريّ في كتابه منهجاً أسدى من خلاله خدمة جليلة لطالبي العلم من كتاب إصلاح المنطق، وقد سار في ذلك على طريقة كتاب (المجمل) لابن فارس؛ أي تبعاً للحرف الأبجدي الأول، كما قسّم كتابه تبعاً للحرف الأول إلى ثمانية وعشرين كتاباً، وفي كل كتاب عدد من الأبواب، فضلاً عن قيامه بعمل المحقّق الثبت في عصرنا؛ إذ يختار من نسخ الكتاب الأصلي أوثقها وأتمّها ويعتمد عليه في نقل الكتاب، ولم يشأ الزيادة في مادّة الكتاب إلا إتماماً للفائدة [88].

و مما يميز كتاب أبي البقاء , إضافة إلى ترتيبه , تقصّيه للروايات المختلفة في النسخ , و من ذلك ما جاء في باب اللام و الجيم : " ل ج ب : الكسائيُّ: سَمعْتُ: شاةٌ لَجْبَةٌ ولُجْبَةٌ ولِجْبَةٌ, أي قليلة اللّبن؛ و في نسخةٍ: والصوف؛

---

[85] للتوسع في مؤلفات أبي البقاء العكبري انظر : المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، تصنيف أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الحنبلي، تحقيق : ياسين محمد السواس، دار الفكر، دمشق، سورية، 1983 م، مقدمة المحقق ص 18 و ما بعدها.

[86] نفسه، ص 46 .

[87] نفسه، ص 46 – 47 .

[88] انظر : نفسه، مقدمة المحقق ياسين محمد السواس، ص 27 – 28 .

ونسخة أخرى: في لبنها؛ ونسخة أخرى بخطِّ السّيرافيّ: لَجْبَةٌ . ولا يُقال للعنز لَجْبَةٌ "[89] . و مثل ذلك في المواد (ب ي ز) , (خ ز ع) , (ص ب ر) , و غيرها . كما أنه يثبت بعض الزيادات من حواشي الكتاب الأصلي , كقوله في مادة (خ ر ب ص) : " جاءت و ما عليها خَرْبَصيصةٌ و لا هَلْبَسيسةٌ , أي شيءٌ من الحُليِّ ؛ حكاه الأصمعي . ومن حواشي الكتاب : الخَرْبَصيصة: عين الجرادة, و القليلُ من كلِّ شيءٍ , والبعير النِّضْوُ المهزول. والهَلْبَسيسة : الخِرقةُ أيضاً "[90] .

ويعمد أبو البقاء إلى الإيجاز في الشرح و التعليق, و يظهر ذلك جلياً في مواد من مثل (غ م ر), (ع ر ف) , (ص ف ر) . أما الزيادة في كتابه فقد جاءت على سبيل الإيضاح و إتمام معنى الأبيات , و من ذلك ما ذكره ابن السكيت في كتابه عن السّلطان, إذ يقول : " السُّلطان مؤنثّة , يُقال قضَت عليه السُّلطان , وقد آمَنَتْهُ السُّلطان "[91] . فيزيد عليه أبو البقاء بيتاً من الشعر جاءت فيه السلطان مؤنثة , و هو قول الراجز :

إنّي أراكَ هارباً من جَوْري من هذه السُّلطانِ قُلْتُ جَيْرِ [92]

ومثل ذلك في مواد من مثل (ج ر ب) , (ص ل ب) , و غيرها , مما يدلّ على رغبة أبي البقاء في إتمام الفائدة, ورفدها بالشواهد المناسبة , فكان ذلك من محاسن الكتاب التي تضاف إلى ترتيبه و تهذيبه , واعتماده على نسخ متعددة للإصلاح في تدوينه , و بذلك يكون كتاب المشوف المعلم ذا قيمة معرفية متميّزة , جعلت من كتاب إصلاح المنطق قريب التناول , و سهْل المأخذ .

لقد شكّلت مختصرات كتب (إصلاح المنطق) و شروحاته حلقة متكاملة، أوفت الكتاب حقّه من خلال مناهج قاربته بطرق مختلفة، حذفاً أو زيادة أو ترتيباً، وهي في مجملها عظيمة الفائدة لكلّ قارئ أو طالب علم.

خاتمة:

بعد أن استعرض البحث, باختصار, سيرورة حركة التهذيب والاختصار في التراث العربي , وعرض لنماذج من بواعثها ومناهجها وكتبها , توصّل إلى نتائج تقارب أهمية هذه الحركة , وهي :

1- إنّ تعميم صفة الجمود والانحطاط على كلّ المختصرات هو تعميم خاطئ، فبعض المختصرات يشتمل، فيما يشتمل، على مراجعات نقدية تعنى بزبدة ما ورد في الكتب الأصلية؛ إذ تنهض هذه المختصرات بمهمّة تسليط الضوء على أهمّ ما أنتجته الثقافة العربية في تلك الكتب، وحصرها في مؤلّف مختصر يعزّز من فائدتها المنثورة في تضاعيف الأصول ذات الصفحات المتعددة والاستطرادات الطويلة، ومن ذلك المختصرات التي اهتمت بعلميّ البلاغة والنّحو.

2- إنّ هذه المختصرات تعبّر عن المزاج الثقافيّ العربيّ في إحدى مراحل تطوره، وهو مزاج ينبني على فاعلية الاختيار القائمة على ذوق المؤلّف، وهذا الذوق ليس عشوائياً بقدر ما هو نظرة نقديّة فاحصة تصطفي ما تراه مفيداً، ومن بعد فإنّ ظاهرة المختصرات في ذلك العصر تشكل مرآة تعكس طبيعة الفكر النقديّ المتطوّر عند العرب بشكل أو بآخر.

---

[89] نفسه, ص 695 .

[90] نفسه, ص 855 – 856 .

[91] إصلاح المنطق , ابن السّكّيت , ص 362 .

[92] المشوّف المعلم , أبو البقاء العكبري , ص 365 .

3- لقد قامت بعض هذه المختصرات على قاعدة التهذيب، وهي قاعدة تنبذ الخطأ وتحتفي بالصواب، وعلى هذا الأساس تصدّت كتب المختصرات لبعض الكتب الأصلية التي لا تخلو من وهم أو غلط، فهذّبتها, وصحّحت ما فيها من أخطاء، سواء أكان الخطأ من المؤلّف الأصلي، أو ممّن ينقل عنه هذا المؤلّف، أومن النّاسخ، وفي ذلك فائدة عظيمة.

4- إنّ ظاهرة المختصرات تكرّس ثقافة الحوار، وهي ثقافة ديناميّة تنفي صفة الركود عن الكتب المختصرة؛ إذ يتخذ الحوار بين المؤلّف الأصليّ والمؤلّف المُختصِر طابعاً حركيّاً فوق صفحات الكتاب، متمثّلاً بتعليقات المختصِر على المؤلِّف، واختياره بعض الجوانب دون الأخرى في معرض اختصاره، وهذا الاختيار هو رأي بمعنى من المعاني، يواجه رأي المؤلّف الأصليّ الذي اختار التطويل والإسهاب.

5- لقد سعت بعض كتب المختصرات إلى فكّ ما استغلق في الكتب الأصلية من مواقف وآراء، فعمدت إلى إيضاح الغامض منها، وتيسير الصّعب فيها، وفي ذلك خدمة جليلة للعلم والمتعلّمين، وهذا ما دفع بعض طلّاب العلم إلى الإقبال على كتب المختصرات توخّياً للفائدة، واختصاراً للوقت.

6- لقد استدركت كتب المختصرات على الأصول ما وقعت فيه من تخبّط في المنهج، وعرض المادة المعرفيّة دون ضابط منظّم، فنهضت بمهمّة ترتيب تلك الأصول وتبويبها وفق آليّة تشي بتطوّر الرؤية المنهجيّة عند مؤلّفي المختصرات، وهي رؤية تخدم مادّة الكتاب الأصليّ ولا تسيء إليه، بل إنّها تفوقه أحياناً في عرض مباحث الكتاب.

7- أسهمت بعض كتب المختصرات في إغناء مادّة الكتاب الأصليّ، و لاسيما تلك المختصرات التي تعنى بالشّرح والتّحليل، وهذا ما يعزّز من القيمة المعرفية لكتب المختصرات التي تقول ما لا تقوله الكتب الأصلية أحياناً، شرحاً وتعليقاً وتفنيداً وتحليلاً .

المصادر و المراجع:

1- الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب, لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي, تحقيق : الأستاذ مصطفى السقّا و الدكتور حامد عبد المجيد, مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة, 1996 م.

2-أدب الكاتب, تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة, حققه و علّق حواشيه و وضع فهارسه : محمّد الدالي, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1981 م.

3-إصلاح المنطق, ابن السكّيت, شرح و تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون, دار المعارف, مصر, القاهرة, ط 4 .

4-بغية الوعاة في طبقات اللّغويين و النحاة, للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي, تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفكر, مصر, ط 2, 1979 م.

5-التلخيص في علوم البلاغة, للإمام جلال الدين محمد بين عبد الرحمن القزويني الخطيب, ضبطه و شرحه : عبد الرحمن البرقوقي, دار الفكر العربيّ, ط 2.

6-تهذيب إصلاح المنطق, الخطيب التبريزي, تحقيق الدّكتور فخر الدين قباوة, منشورات دار الآفاق الجديدة, بيروت, ط1, 1983 م.

7-سمط اللآلي, المحتوى على اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري الأونبي, تحقيق : عبد العزيز الميمني, مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر, القاهرة, 1936 م.

8-شرح أبيات إصلاح المنطق, تأليف أبي محمد يوسف بن الحسن السّيرافيّ النّحوي, تحقيق : ياسين محمد السوّاس, مطبوعات مركز جمعة الماجد للثّقافة والتّراث, دبي, و الدّار المتّحدة للطّباعة والنّشر, دمشق, سوريا, ط1, 1992 م.

9-شرح أدب الكاتب للجواليقيّ, موهوب الجواليقي, تحقيق و دراسة : الدّكتورة طيبة حمد بودي, مطبوعات جامعة الكويت, ط 1, 1995 م.

10-الفوائد الغياثية في علوم البلاغة, للعلّامة عضد الدين الإيجي, دراسة و تحقيق و تعليق : عاشق حسين, دار الكتاب المصري, القاهرة – دار الكتاب اللبناني, بيروت, ط 1, 1991 م.

11-الكتاب – كتاب سيبويه, أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر, تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي بالقاهرة, ط 3, 1988 م.

12-كتاب العين, لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي, تحقيق د. مهدي المخزومي, د. إبراهيم السامرّائي, منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت, لبنان, ط 1, 1988 م .

13-كشف الظّنون عن أسامي الكتب و الفنون, مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة, دار إحياء التّراث العربي, بيروت, لبنان.

14-لسان العرب, الإمام العلّامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور, دار صادر, بيروت, ط3, 2004 م.

15-المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم, تصنيف أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الحنبلي, تحقيق : ياسين محمد السوّاس, دار الفكر, دمشق, سورية, 1983 م.

16-معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب, ياقوت الحموي الرومي, تحقيق : الدكتور إحسان عبّاس, دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, ط 1, 1993 م.

17-المقدّمة, عبد الرحمن ابن خلدون, حقّقها و قدّم لها و علّق عليها : عبد السلام الشدّادي, الدار البيضاء, ط 1, 2005 م .

18-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب, أحمد بن محمد المقري التلمساني, حققه : الدكتور إحسان عبّاس, دار صادر, بيروت, 1988 م .

19-وفيّات الأعيان و أنباء أبناء الزمان, لأبي العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان, حقّقه: الدكتور إحسان عبّاس, دار صادر, بيروت, 1972 م.

الدوريات

ظاهرة المختصرات في التّراث العربيّ, محمد بوزيان بنعلي, مجلة آفاق الثقافة و التراث, مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث, دبي, الإمارات العربية المتّحدة, العدد 49, إبريل (نيسان) 2005 م .